﴿يَسۡـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ ٢٩ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٣٠﴾ [الرحمن: 29 - 30]

❁ مُناسَبَةُ الآيتين لِما قبلهما:

حتميَّةُ الفناءِ في حـقِّ المخلوقينَ دليلٌ على شِدَّةِ احتياجهم

لمّا كان أدلَّ دليلٍ على العدمِ الحاجةُ، وعلى دوامِ الوجودِ الغِنى؛ أشارَ إلى مبلغِ احتياجِ الخَلق له تعالى، وسؤالِهم إيّاه، فكلُّ الخَلقِ في السَّماوات والأرضِ، من ناطقٍ أو صامتٍ، بلسانِ الحالِ أو المقالِ أو بهما، يَصْمُدون إليه بحوائِجهم، ولمّا كان كأنَّهُ قيل: فماذا يفعلُ عند السُّؤالِ، وعبَّر بأقلِّ الأوقاتِ المحدودة المحسوسة - وهو اليوم - عن أقلِّ الزَّمانِ، كما عبَّر به عن أخفِّ الموزونات بالذَّرَّة، فقال مجيبًا لذلك، بأنَّهُ لا يخلو وقتٌ من الأوقاتِ من احتياجهم وسؤالهم له تعالى، وفيه ردٌّ على اليهود - لعنةُ اللّه وغضبُه عليهم - حيث قالوا في السَّبت ما هو منافٍ لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ ٣٨﴾ [ق: 38]، وقولِه: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾ [البقرة: 255]، فلا يخلو يومٌ من أيام الدَّهر بحسابِ الثَّقلين من إحداثِ أعيانٍ وتجديدِ معانٍ أو إعدامِ ذلك، وهي شؤونٌ يُبْديها، لا شؤونٌ يَبْتَديها، تَتَعَلَّقُ قدرتُه على وفق إرادته على ما تعلَّق به العِلْم في الأزل، أنَّه يكون، أو يُعْدَم في أوقاته، فكلُّ شيء قانتٌ له، خاضعٌ لديه، ساجدٌ لعظَمته، شاهدٌ لقدرته، دالٌّ عليه، مصداقَ قولِه: ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ﴾ [الإسراء: 44]، وذلك التَّعبير - مع أنَّه من أجلِّ النِّعَم - أدلُّ دليلٍ على صفاتِ الكمال له، وصفاتِ النَّقص للمتغيّراتِ، وأنَّها عدمٌ في نفسها، ولأنَّها نِعَمٌ قال: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾، فهو المُربّي للثَّقلَين بهذا التَّدبير العظيم

لكلٍّ ما يُصلحُهما، فهل تُكَذِّبانِ بنعمة السَّمعِ أو غيرها، من تصريفه إيّاكم فيما خلقكم له[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَسْـَٔلُهُۥ﴾: (سأل) أصل واحد، يُقال: سأل يسأل سؤالًا ومسألةً[2]، والمعنى المِحوريُّ: استخراجُ ما في حوزةٍ أخرى، أي: طَلَبُ تحصيله بَدفْعٍ أو حَثٍّ، وخلاصةُ معنى هذا التَّركيب هو الطَّلب، إما طلبُ شيءٍ، أي: تحصيلُه، أو طلب عِلمٍ، أي: معلومةٍ[3]، والسُّؤالُ: استدعاءُ معرفة، أو ما يُؤدّي إلى المعرفة، واستدعاءُ مالٍ، أو ما يؤدّي إلى مالٍ، فاستدعاءُ المعرفة جوابُه على اللِّسان، واليد خليفةٌ له بالكتابة، أو الإشارة، واستدعاءُ المال جوابُه على اليد، واللِّسان خليفة لها؛ إمّا بوعد، أو بردٍّ، والسُّؤالُ للمعرفة يكون تارةً للاستعلام، وتارةً للتَّبكيت[4]، والمعنى هاهُنا: أنَّ الكلَّ يَحتاجون إليهِ، فيسألونه، وهو غنيٌّ عنهم[5].

2) ﴿شَأْنٍ﴾: (شأن) أصلٌ واحدٌ يدلُّ على ابتغاءٍ وطلبٍ، من ذلك قول العرب: شَأَنْتُ شَأْنَهُ، أي: قَصَدْتُ قصدَه، ومن ذلك قولهم: ما هذا مِن شَأني، أي: ما هذا من مطلبي والذي أبتغيه، وأمّا الشُّؤون؛ فما بين قبائل الرَّأسِ، الواحدُ شأنٌ، وإنَّما سُمّيت بذلك؛ لأنَّها مجاري الدَّمعِ، كأنَّ الدَّمعَ يطلبُها، ويجعلُها لنفسه مسيلًا[6]، والشَّأْنُ: الأمرُ والحالُ[7] الذي يتَّفق، ويصلح، ولا يقال إلّا فيما يعظُم من الأحوال والأمور، قال الله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾[8]، والمعنى المِحوريُّ: فُروعٌ أو شُعُبٌ دقيقةٌ تمتد في أثناءٍ أو منها مع وصلٍ أو توصُّل، والشّأن: الخَطْب والأمر والحال، وهو شعبة من الأمور الخاصَّة أو الجارية التي تنشأ، كما في قولِ اللّهِ: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 167 - 168.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (سأل).
(3) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (سأل).
(4) الرّاغب، مفردات القرآن، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: (سأل).
(5) ابن الجوزيّ، زاد المسير: 4/ 210.
(6) ابن فارس، مقاييس اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (شأن).
(7) الجوهريّ، الصّحاح: (شأن).
(8) الرّاغب، مفردات القرآن، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: (شأن).

﴿إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِۚ﴾ [يونس: 61]، وكلٌّ (شأن) في القرآن فهو بهذا المعنى[1].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

الخلقُ جميعًا محتاجونَ إلى فضلِ اللهِ

بيَّنَتِ الآيتان أنَّ اللّهَ تعالى هو المقصودُ بالسُّؤال في السَّماواتِ والأرضِ، فالخَلقُ جميعًا محتاجونَ إلى فضله وإحسانه، فكلُّ الخلقِ يسألونه سؤالَ الفقيرِ للغنيِّ، والضَّعيفِ للقويِّ، ومن لا يملكُ أيَّ شيء، لمن يملك كلَّ شيءٍ، فكلُّ من في السَّماوات والأرض مستمِدٌّ مِن فضل اللّه، سألَ، أو لم يَسألْ، فإن لم يسأل بلسانه؛ فقد سأله بحالهِ، وهذه المِنَن والعطايا التي تعيش فيها المخلوقات، وتحفظ عليها وجودها، هي من عند اللّه، ومن واسع رحمتِه، يجود بها عليها، فالسُّؤال هنا كناية عن الحاجة، وكلُّ مخلوق في حاجة أبدًا إلى عون اللّه، وإلى أمداد إنعامِه وإحسانِه، ثمَّ بيَّنتْ أنَّه تعالى، في تصريف وتدبير للخَلْق، في كلِّ يوم، بل في كلِّ لحظة، فذلك شأنُ المالك فيما ملك، والخالقِ لما خَلَق، لا يغفل أبدًا عن مُلْكه، فليس الوجودُ مجرَّدَ آلةٍ تدور على وجهٍ واحدٍ لا يتغيَّر أبدًا، بل هو في كلِّ آنٍ من آونة الزَّمن في تجدُّد دائم، وفي حركة دائبة، دون أن يقع في نظامه خلل أو اضطراب، وهذا برهانٌ على أنَّ لهذا الوجود إلهًا قادرًا، عالمًا حكيمًا، يغيِّر فيه، ويُبدِّل كيف يشاء، له وجودٌ مُؤثِّر في الحياة، فهو سبحانه حيٌّ حياةً أبديَّةً سرمديَّةً، وليس هذا التَّبدُّلُ والتَّحوُّلُ في أحوال النّاس، وفي صور الموجودات، هو ممّا يُحْدِثه اللّهُ سبحانه حين يَحْدث، وإنَّما هي أمور واقعة في عِلم اللّه القديم، مسطورةٌ في كتابه المكنون، فيُظْهِر منها ما يُظْهِر في الوقت المَقدور له، وعلى الصّورة التي أرادها ﷻ أزلًا، فهي أمورٌ يُبديها، ولا يَبتديها[2]، فبأيِّ نعمةٍ من نِعَم اللّه وآلائهِ

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 14/ 110، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (شأن).
(2) الخطيب، التّفسير القرآنيّ للقرآن: 14/ 676 - 678.

تُكَذِّبان؟ فإنَّ اختلافَ شؤونه في تدبير أحوالِ عبادِه وشؤونهم نعمةٌ لا يمكن جَحْدُها، ولا يتيسَّر لمُكَذِّب تكذيبُها[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

توجيهُ مَوْقعِ جملةِ: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ﴾ من الإعرابِ:

الجملة إمّا امتنانٌ بإجابة سؤال، أو بيانٌ لجلال وجهه

في الموقعِ الإعرابيِّ لقولِ اللهِ تعالى: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وجهان، أحدهما: أنَّ الجملةَ مستأنَفةٌ. والثّاني: أنَّها حالٌ مِنْ ﴿وَجْهُ﴾، والعاملُ فيه (يَبْقَى)، أي: يَبْقَى مَسؤولًا مِنْ أهلِ السَّماواتِ والأرضِ[2]، وعلى الوجه الأوَّل، فصَلَ النَّظمُ الحكيمُ بين هذه الجملةِ وسابقتها، وهي قولُ اللهِ تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾؛ لأنَّ الامتنانَ بإجابة سؤال الخَلْق في كلِّ لحظة من لحظات الدَّهرِ حُجَّةٌ كافيةٌ وحدَها؛ لبيانِ قدرته وسطوته وعظَمته من ناحية، ورحمته ولطفه من ناحية أخرى، وعلى الوجه الثّاني: فالجملة بيانٌ لجلال وجهه وإكرامِ ذاته، بأنَّهُ الذي تَصْمُدُ إليه حاجاتُ الخلائقِ.

دلالةُ التَّعبيرِ بـ﴿يَسْـَٔلُهُۥ﴾ دون (يطلبُ):

السُّؤال إمّا سؤال استعطاءٍ أو استعلامٍ أو طلبٍ واستخراجٍ

عبَّر البيانُ القرآنيُّ في قولِه تعالى: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ باستعمالِ (سأل) دون (طلب)؛ وذلك لاشتمال (سأل) على عدد من المعاني، **الأوَّلُ**: أنَّهُ سؤالُ استعطاء، فيسأله كلُّ أحدٍ الرَّحمةَ وما يحتاجُ إليه في دينِه ودنياه، فالخَلْقُ قاطبةً يطلبون منه تعالى ما يحتاجون إليه في ذواتهم حدوثًا وبقاءً، وفي سائر أحوالهم، سؤالًا مستمرًّا بلسان المقالِ أو بلسانِ الحالِ، فإنَّهم كافَّةً من حيثُ حقائقُهم الممكنةُ بمعزلٍ من استحقاقِ الوجودِ وما يتفرَّع عليه من الكمالاتِ بالمَرَّة، بحيثُ لو انقطع ما بينهم وبين العناية

(1) وهبة الزّحيليّ، التّفسير المنير: 27/ 211.
(2) السّمين الحلبيّ، الدّرّ المصون: 10/ 168.

الإلهيَّة من العلاقة؛ لم يَشَمّوا رائحةَ الوجودِ أصلًا، فهم في كلِّ آنٍ سائلون[1]. **وثانيها**: أنَّه سؤالُ استعلامٍ، أي: عنده علم الغيب لا يعلمه إلّا هو، فكلُّ أحدٍ يسأله عن عاقبةِ أمره، وعمّا فيه صلاحُه وفسادُه، أو هو سؤال الملائكة كلَّ يوم: إلَهَنا ماذا نفعل؟ وبماذا تأمرنا؟ وذلك بعد الفناء أو قبلَه. **وثالثها**: أنَّ ذلك سؤالُ طلبٍ واستخراجِ أمرٍ، فلا معطيَ سِواه، ولا رازقَ غيرُه تعالى[2].

الغَرضُ من التَّعبيرِ بالفاعل اسمَ موصولٍ ﴿مَن﴾:

السُّؤال ممَّن يعقِلُ أصالةً

آثرَ النَّظمُ الحكيمُ التَّعبيرَ بالفاعلِ اسمًا موصولًا دالًّا على العقلاءِ، وهو ﴿مَن﴾؛ لأنَّ المقصود بيانُ المِنَّةِ على العقلاءِ في المقامِ الأوَّلِ، وهم المخاطَبونَ أصالةً في السّورةِ الكريمةِ، وهم الثَّقلانِ، وكذلك لأنَّهم المخاطَبونَ بالنِّعم والآلاءِ في الآياتِ السّابقةِ، وهم المَوْعودون بالجزاءِ في الآياتِ التّالية.

بلاغةُ التَّعبيرِ بالطِّباقِ في ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾:

اللهُ تعالى مقصدُ السّائلينَ في السَّماواتِ، كما هو مقصدُ السّائلينَ في الأرضِ

في قولِ اللهِ تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ جاءَ الطِّباقُ بين السَّماوات والأرضِ مُبرزًا؛ لكونهِ تعالى مَقصِدَ السُّؤال في السَّماواتِ، كما هو مَقصِدُ السُّؤال في الأرضِ، فهو سبحانه المقصودُ بالسُّؤال في كلِّ مكانٍ، كما هو سبحانه المقصود بالسُّؤال في كلِّ زمانٍ، فالاحتياج عامٌّ في أهل الأرض وأهل السَّماء، فالجميعُ يسألونه، فسؤالُ أهلِ السَّماوات، وهم الملائكة: ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ [الشورى: 5]، ويسألون رضا اللهِ تعالى، ومن في الأرض، وهم البشر، يسألونه نِعَمَ الحياة والنَّجاةَ في الآخرة، ورفعَ الدَّرجاتِ في الآخرة[3].

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 14/ 110.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 358.
(3) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 254.

الغرض من حذف المفعولِ الثّاني: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ﴾:

الحذف لإفادةِ العمومِ

حذفَ النَّظمُ الجليلُ المفعول الثّاني من: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ﴾؛ لإفادة التَّعميم، أي: يسألونه حوائجَهم ومهامَّهم من طلوع الشَّمس إلى غروبها[1]، فالغرضُ توفيرُ العنايةِ على كونه سبحانه مطلوبًا منه كلُّ الحوائج، والنَّص على المطلوب تحجيرٌ للمعنى؛ لذا فالحذفُ مطلوبٌ لاتِّساع المعنى.

الموقع الإعرابيُّ لقولِه: ﴿كُلَّ يَوْمٍ﴾، وثراءُ المعنى:

دوامُ رعايةِ اللهِ لخَلْقِه في كلِّ يومٍ وساعةٍ

يجوز أن تكون الجملة حالًا من ضمير النَّصب في ﴿يَسْـَٔلُهُۥ﴾، أو تذييلًا لجملة: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، أي: كلَّ يوم هو في شأن من الشُّؤون للسّائلين وغيرهم، فهو تعالى يُبْرِم شؤونًا مختلفةً من أحوال الموجودات دوامًا، ويكون ﴿كُلَّ يَوْمٍ﴾ ظرفًا متعلِّقًا بالاستقرار في قولِه: ﴿هُوَ فِى شَأْنٍ﴾[2].

دلالةُ التَّقييدِ باليومِ دونَ غيرِه:

اليومُ أقلُّ وحداتِ الزَّمانِ صلاحيَّةً للمقامِ

جاء التَّقييدُ باليومِ في الآيةِ؛ لأنَّهُ لمّا كانَ اليومُ أقلَّ الأوقات المحدودة المحسوسة؛ عبَّر به عن أقلِّ الزَّمانِ، كما عبَّر عن أخفِّ الموزونات بالذَّرَّةِ، والمرادُ: في أيِّ وقت من الأوقات عامَّةً، ومن يومِ السَّبتِ خاصَّةً؛ لأنَّ اليهود قالوا في السَّبت ما هو منافٍ لقوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾ [ق: 38]، فبيَّنتِ الآيةُ أنَّ لهُ في كلِّ يومٍ شأنًا مختلفًا، مِن إحداث أعيانٍ وتجديدِ معانٍ أو إعدام ذلك[3]، وقيل: المرادُ باليومِ هاهنا الوقتُ أو اللَّحظة من الزَّمن[4]، فهو سبحانه يُنْفِذُ ما قُدِّرَ أن يكونَ ممّا سبقَ في علمِه، وأثبتَه في اللَّوح المحفوظِ، وليس هو إحداثَ

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 254.
(2) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 254.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 167.
(4) أبو حيّان، البحر المحيط: 10/ 62، والصّاويّ، حاشية الصّاويّ على تفسير الجلالين: 6/ 503.

أمرٍ لم يتقدَّم في عِلْمِه، بل جرى القَلَمُ بما هو كائنٌ إلى يوم القيامةِ، لا يُزادُ في ذلك، ولا يُنقَصُ، لكنَّه تعالى يُثْبِتُ ما يشاء، ويمحو ما يشاء، وكلُّ ذلك تَقَدَّم عِلْمُه به بلا أمَد[1].

دلالةُ المجازِ في ﴿يَوْمٍ﴾:

المـــرادُ باليـومِ مُطلقُ الزَّمنِ

﴿يَوْمٍ﴾ مستعملٌ مَجازًا في الوقت بعلاقة الإطلاق؛ إذِ المعنى: كلَّ وقتٍ من الأوقات ولو لحظةً، وليس المُرادُ باليوم الوقتَ الخاصَّ الذي يمتد من الفجر إلى الغروب، وإطلاق اليوم ونحوِه على مُطلَق الزَّمان كثيرٌ في كلام العرب، كقولهم: الدَّهر يومان: يومُ نُعْمٍ ويومُ بُؤْسٍ[2].

سرُّ تقديمِ ﴿كُلَّ يَوْمٍ﴾:

الاهتمامُ بإفادةِ تـكـرُّرِ العـنايةِ الرَّبّانيَّةِ

قدَّم البيانُ القرآنيُّ الظَّرفَ ﴿كُلَّ يَوْمٍ﴾ على ما فيه متعلَّقُه؛ للاهتمام بإفادة تكرُّر ذلك ودوامِه، والمعنى: في شأن من شؤونِ مَن في السَّماوات والأرض، مِن استجابة سؤالٍ، ومن زيادةٍ، ومن حِرمانٍ، ومن تأخيرِ الاستجابة، ومن تعويضٍ عن المَسؤولِ بثوابٍ[3].

مَرْجِعُ الضَّميرِ في ﴿هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ ودلالَتُه:

بيانُ كثرةِ شؤونِه تعالى في الدُّنيا

للعلماء في مرجع الضَّمير ﴿هُوَ﴾ في قولِه: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ قولانِ، **الأوَّلُ**: أنَّهُ عائدٌ على اللهِ تعالى، وعليه اتِّفاق المفسِّرين، ويدلُّ عليه ما رويَ عنِ النَّبيِّ ﷺ في تفسير هذه الآيةِ، حيث قال: «مِنْ شَأْنِهِ أنْ يَغْفِرَ ذَنْبًا، ويُفَرِّجَ كَرْبًا، ويَرْفَعَ قَوْمًا، ويَخْفِضَ آخَرينَ»[4]، **والقولُ الثّاني**: أنَّ الضَّميرَ ﴿هُوَ﴾ عائدٌ إلى ﴿يَوْمٍ﴾، و﴿كُلَّ يَوْمٍ﴾ ظرفُ سؤالهم، أي: يقع سؤالُهم في كلِّ يوم، وتكونُ جملةُ ﴿هُوَ فِي

(1) مكّي بن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النّهاية: 11/ 7223.
(2) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 255.
(3) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 254.
(4) أخرجه ابن ماجه في سننه، برقم: (207)، والأرجح وقفه على أبي الدرداء، كما في صحيح البخاريّ، كتاب التّفسير، تفسير سورة الرّحمن.

﴿شَأْنٍ﴾ جملةٌ وُصِفَ بها ﴿يَوْمٍ﴾، وهو نَكِرةٌ، كما يقال: يسألني فلانٌ كُلَّ يومٍ، هوَ يومُ راحتي، وقولُه: ﴿هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ يكون صفةً مميِّزةً للأيامِ التي فيها شأنٌ عن اليوم[1]، والأوَّلُ أرجحُ، والمُراد: بيان كثرةِ شؤونه تعالى في الدُّنيا، فـ﴿كُلَّ يَوْمٍ﴾، على معنى: كلَّ وقتٍ من أوقات الدُّنيا[2].

مَعْنَى ﴿فِي﴾، ودلالَتُها في قَوْلِه: ﴿فِي شَأْنٍ﴾:

ثبوتُ التَّصرُّفِ أبدًا وأزلًا للهِ ﷻ

معنى ﴿فِي﴾ في قولِه: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ تقويةُ ثبوتِ الشُّؤون للّه تعالى، وهي شؤون تَصَرُّفِه ومظاهرُ قُدرتِه، كما قال بعضهم: شُؤونٌ يُبديها، لا شؤونٌ يَبْتَديها[3].

المرادُ بـ﴿شَأْنٍ﴾، والغَرض من تنكيرها:

الشَّأنُ هو الأمرُ العظيمُ الجليلُ، والتَّنكيرُ لإفادةِ العمومِ والشُّمولِ

عبَّرَ النَّظم الجليلُ عن رعايةِ اللّهِ تعالى لخَلْقه بلفظ ﴿شَأْنٍ﴾، والمرادُ بالشَّأنِ الأمرُ والحالُ[4]، الذي يتَّفق، ويصلح، ولا يقال إلّا فيما يَعظُم من الأحوال والأمور[5]، وجاءَ به نكرةً لإفادةِ العموم، فشمل كثيرًا من وجوه العطاءِ والإنعامِ والتَّفضُّل، فهو تعالى يُغْني فقيرًا، ويَجْبُرُ كسيرًا، ويُعطي قومًا، ويمنعُ آخرين، ويميتُ، ويُحيي، ويَرفعُ، ويَخفضُ، لا يشغلُه شأنٌ عن شأنٍ، ولا تُغْلِطُه المسائلُ، ولا يُبْرِمُه إلحاحُ المُلِحّين، ولا طوْلُ مسألةِ السّائلين، فسبحانَ الكريمِ الوهّاب، الذي عمَّت مواهبُه أهلَ الأرضِ والسَّماواتِ، وعمَّ لطفُه جميعَ الخَلْق في كلِّ الأوقات واللَّحظات، وتعالى الذي لا يمنعُه من الإعطاء معصيةُ العاصين، ولا استغناءُ الفقراء الجاهلين به وبكرَمِه، فهذه الشُّؤون – التي أخبر أنَّه تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ – هي تقاديرُه

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 358.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 14/ 110.
(3) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 255.
(4) الجوهريّ، الصّحاح: (شأن).
(5) الرّاغب، مفردات القرآن: (شأن).

وتدابيرُه التي قَدَّرَها في الأزل، وقضاها، لا يزال تعالى يُمْضيها، ويُنْفِذها في أوقاتها التي اقتضتها حكمتُه، وهي أحكامه الدّينيَّة التي هي الأمر والنَّهي، والقَدَريَّة التي يُجْريها على عبادِه مُدَّةَ مقامِهم في هذه الدّار، حتّى إذا تمَّت هذه الخَليقةُ، وأفناهم اللّهُ تعالى، وأراد أن يُنفِذَ فيهم أحكامَ الجزاء، ويُريهم من عَدْلِه وفَضْلِه، وكثرة إحسانه، ما به يَعرفونه، ويوحِّدونَه؛ نَقَل المُكلَّفين من دار الابتلاء والامتحانِ، إلى دار الحيوان[1].

معنى الفاءِ ودلالَتُها في ﴿فَبِأَيِّ﴾:

بعد تعديد النِّعَمِ والآلاء، يأتي التَّقرير

جاءَتِ الفاءُ في قولِ اللّه تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؛ للتَّفريعِ على ما تقدَّم من الإنعام بكونِه تعالى مقصدَ السّائلين في كلِّ الأزمان والأوقاتِ، فجاءَ التَّقرير والتَّوبيخُ للمُكَذِّبينَ، فكأنَّ أصلَ الكلامِ: إذا عرفتُم هذه النِّعمَةَ العظيمةَ الجسيمةَ، التي هي من الظُّهور والوضوح بمكانٍ لا مِريَةَ فيه، فبأيِّها تُكَذِّبان؟ إذ لا سبيلَ إلى التَّكذيبِ، فلا بُدَّ من الإقرار التّامِّ والتَّصديقِ الكاملِ والإيمان الحقِّ بعد الامتنان بهذه النِّعمة التي هي دليلُ قدرتِه وعظَمتِه وقيّوميَّتِه ورَحمتِه.

بَيانُ المُرادِ بالآلاء في هذا الموضعِ:

كونُه سبحانه مقصِدَ السائلينَ نعمةٌ عظمى ومنَّةٌ جسيمةٌ

المرادُ بالآلاء في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ تصريفُ الرَّبِّ تعالى فيما خلقَكم له أيُّها الثَّقلان، وجميعِ ما تسألونه تعالى من المَغفرةِ، والرَّحمة، والرِّزقِ، والإحياءِ، والإماتةِ، وغيرِها من شؤون خَلْقِه في السَّماوات والأرضِ، وقد تكرَّرت في هذه الآيةِ المُقَرِّرة على النِّعم من أوَّلِ السّورةِ إلى هنا ثمانيَ مَرّات عَقِبَ النِّعم؛ إشارةً إلى أنَّ نِعَم اللّه ﷻ لا تُحْصَى؛ لأنَّها تزيد على السَّبعة التي هي العَددُ التّامُّ الواحدُ، وهو مبدأ لدور جديد من العدد؛ إشارةً إلى

(1) السّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 830.

أنَّه كلَّما انقضى منها دورٌ؛ ابتدأ دورٌ آخرُ، ووجهٌ آخرُ: وهو أنَّ الأخيرةَ صرَّح فيها بـ ﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾، والسَّبعُ التي قبلَها يَختصُّ بأهل الأرض؛ إشارةً إلى أنَّ أُمَّهات النِّعم سبعٌ، كالسَّماوات والأرض والكواكبِ السّيارة، ونحوِ ذلك[1].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 168.

المحتويات

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والخمسون،
سورة الطُّور من الآية 25 إلى سورة الرَّحمن الآية 30
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والخمسون، سورة الطُّور من الآية 25 إلى سورة الرَّحمن الآية 30
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 58 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-647-62-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 58 : المجلد الثامن والخمسون، سورة الطُّور من الآية 25 إلى سورة الرَّحمن الآية 30.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-647-62-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4238337 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"